

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU 190814**

UNIVERSAL  
LIBRARY



OUP—880—5—8—74—10,000.

**OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY**

Call No.

٨٩٢٤٤١٠٨

Accession No.

A 414

Author

ق

حسن بن رشيق القرواني

Title

قراضة الزبيب

This book should be returned on or before the date last marked below.





# الرسائل النادرة

CHECKED 1943

## ٢- قراضة الذهب

للحسن بن رشيق القبرواني

طبعت بأذن خاص نقلا عن الاصل المحفوظ  
بدار كتب سعادة امير بك طلعت

مكتبة الخزانة

لاصحاح ابا اولاد محمد بن الحسن بن يحيى  
شاع عبدالعزیز مصر

الطبعة الاولى

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

( حقوق الطبع محفوظة )



## صفحة شكر

لحضرة صاحب السعادة احمد بك طلعت ، نجل  
المرحوم احمد طلعت باشا على ما سهله لنا من اعارتنا للنسخة  
الخطية التي طبعنا عليها هذه الرسالة النادرة التي كادت تودي  
بها يد الضياع ، لولا عثورنا عليها ضمن ما حوته مكتبة  
سه دته من نفائس الكتب وبدائع المخطوطات وغرائب  
التآييف وثمان التحف ، صانها المولى سبجانه وتمامي عاصرة ،  
ومتعنا بوجوده ، ذخراً للعلم والأدب

أزاد محمد أمين الخانجي

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

ننشر اليوم لقراء (الرسائل النادرة) الحلقة الثانية منها: كتاب  
(قراضة الذهب)، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، أحد الأفاضل  
البلغاء، الأديب النقادة، صاحب كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر  
ونقد عيوبه. والدافع لنا على تقديم هذه الرسالة، على سواها من الرسائل  
النادرة، التي اعتزنا - بمشيئة الله تعالى وتعضيد اخواننا الادباء - على  
نشرها من حين لآخر، أن هذه الرسالة تجرى في سلك واحد مع الرسالة  
الأولى (اعلام الكلام) لابن شرف القيرواني، المعاصر لصاحب هذه  
الرسالة، والمناظر له، كما أوضحنا ذلك في مقدمتنا الأولى. ومن جهة أخرى  
قد رأينا أن تقدم الحجة المموسة والبرهان الساطع على أن فن النقد كان  
من العلوم المعروفة عند العرب ومن الفنون التي أفردوا لها كتباً خاصة.  
إذ أن الفكرة السائدة بين بعض ادباء العصر، أن العرب لم يحدوا لهذا  
الفن الجميل رسماً ولا عرفوا له اسماً ولا اشتقوا من اسم النقد فنّاً. وكان من  
رأى هؤلاء الأدباء الذين ينكرون للمتقدمين من فضلائنا وأدبائنا هذا الفضل  
أن معارضاتهم واستدراكهم وتعقيباتهم واعتراضاتهم ومجادلاتهم  
ومشاحناتهم وغير ذلك مما فندوه وذيلوه وعلقوا عليه، مع شهادتها بما طبعوا  
عليه من الميل الى الانتقاد، فإنها ليست في شيء مما يصح تسميته علماً مقيداً  
بقواعد وشروط ولا فنّاً ذا أصول وفروع.

ونذكر بهذه المناسبة أن أحد أدباء العصر ، قسطاكي بك جمعي  
الجلبي، جاهر بشيء من ذلك في مقدمة كتابه ( منهل الورد في علم الانتقاد )  
الصفحة ٤٦ من الكتاب المذكور :

« لم نجد في العرب من تكلم على هذا الفن ولا من أفرده في كتاب  
انما جل وظيفة الناقد على ما رأينا من صنيع أكثرهم أن يسوى على من  
يتقدم كلامه ما استطاع ويزيف كل حسنة له حتى تنقلب سيئة وذلك كما  
فعل الخفاجي فيما سماه شرحاً لدرة الغواص أو أن يكون على عكس ذلك  
فيحتال في تخريج كل وهم يسقط عليه في كلامه وتسد يد كل هفوة تبادر منه  
كما فعله أكثر شراح الكتب العلمية من إقامة أنفسهم مقام الخدام العتق  
فيأخذون في التوجيه والتأويل وتحمل الإصابة فيما هو ظاهر الغلط »

فاذا أنكر هذا الأديب ومن ينسج على منواله فضل المتقدمين في  
هذا الباب ، وما أتوه من آيات الابداع ، أمثال ابن قتيبة صاحب أدب  
الكتاب ، وعبد الله بن المقفع صاحب الدرة اليتيمة ، والحوارزمي صاحب  
مفاتيح العلوم ، وابن قدامة صاحب نقد الشعر ، وابن العميد ، والصاحب  
ابن عباد ، وأبو القاسم الأمدى صاحب كتاب الموازنة ، والقاضي  
أبو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب كتاب الوساطة بين المتنبئ وخصومه ،  
وابن الأثير صاحب المثل السائر ، والعلامة ابن خلدون ، والعسكري  
صاحب الصناعتين ، والماوردي ، ومن البهم من أدباء العربية الذين رفعوا  
شأنها بحاوراتهم و مناقشاتهم ومجادلاتهم . نقول ان أنكروا فضل  
هؤلاء بحجة أنهم حاموا حول الموضوع ، دون أن يفردوا له كتابا

خاصا ، فلا مندوحة لنا من أن نتقدم لهم بهاتين الدرتين اليتيمتين رسالتى :  
( أعلام الكلام ) و ( قراضة الذهب ) فى معرض التدليل والتحدى ،  
بهذه النية ، وعلى أساس هذه الغيرة ننشر الرسالة الثانية ، لأدبائنا  
المعاصرين ، ونحن بعد ، على العهد الاول من بذل ما فى الوسع ، للسير فى  
الخطة التى رسمناها ، لآحياء مآثر السلف ، بنشر أمهات مادونوه من كتب  
ورسائل ، ملتتمسين الهداية والتوفيق من المولى عز وجل فيما قصدناه  
والسلام

اصحاب مكتبة الخانجي



### مؤلف الرسالة

هو أبو علي الحسن بن رشيق ، أحد البلغاء الأفاضل الشعراء ، ولد بالمسيلة من أعمال القيروان وتأدب بها قليلاً ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة وكانت ولادته سنة تسعين وثلاثمائة . وأبوه مملوك روى من موالى الأزد ، كانت صناعته الصياغة . فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها . ومدح صاحبها ، ولم يزل فيها إلى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل إلى صقلية وأقام بإذر إلى أن مات وهي قرية بجزيرة صقلية ، منها المازدى .

واختلف في تاريخ وفاته . قال ابن خلكان : رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخسين وأربعمائة . وكان بينه وبين عبد الله بن أبي سعيد ابن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني مناقضات ومهاجاة وهنك عدة رسائل في الرد عليه ، منها : رسالة سماها ( ساجور السكب ) ورسالة ( نبح الطلب ) ورسالة ( قطع الأنفاس ) ورسالة ( نقض الرسالة الشموذية ) و ( الرسالة المنقوضة ) و ( رسالة رفع الأشكال ودفع المحال ) وله كتاب ( أنموذج الشعراء ، شعراء القيروان ) و ( رسالة قراضة الذهب ) التي نشرها ، و ( العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه ) ، وقد طبعه والدنا أحسن الله تعالى إليه منذ عشرين سنة

ومن شعره :

أحب أخي وان أعرضت عنه      وقل على مسامحه كلامي  
ولى في وجهه تقطيب راضٍ      كما قطبت في وجه المدام

ورب تقطب من غير بنض وبنض كامل تحت ابتسام

ومن بدائع شعره هذه الأبيات التي تعد آية في فن النقد :

لعن الله صنعة الشعر ماذا من صنوف الجهال منه لقينا  
يؤثرون الغريب منه على ما كان سهلاً للسامعين مينا  
ويرون المحال معنى صحيحاً وخسيس الكلام شيئاً ثميناً  
يجهلون الصواب منه ولا يدرون للجهل أنهم يجهلونا  
فهم عند من سوانا يلامون وفي الحق عندنا يعذروننا  
انما الشعر ما تناسب في النظر — وان كان في الصفات فنونا  
فأني بعضه يشاكل بعضاً وأقامت له الصدور المتونا  
كل معنى أتاك منه على ما تمنى ولم يكن أو يكونا  
فتناهى من البيان الى أن كاد حسناً يبين لناظرينا  
فكان الالفاظ منه وجوه والمعاني رُكبن فيها عيونا  
ان ما في المرام حسب الأمانى يتحلى بحسنه المنشدونا  
فاذا ما مدحت بالشعر حراً رمت فيه مذاهب المشبهينا  
فجعلت النسب سهلاً قريباً وجعلت المديح صدقا مينا  
وتعلمت ما يهجن في السم — مع وان كان لفظه موزونا  
واذا ما عرضته بهجاء عبت فيه مذاهب المرقيدنا  
فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التمريض داء دفينا  
واذا ما بكيت فيه على العا دين يوماً للبين والظاعنينا

حلت دون الأسي وذلت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا  
ثم ان كنت عابنا جنت بالوء—د وعيدا وبالصعوبة ليئا  
فركت الذي عتبت عليه حذراً آمناً عزيزاً مهيناً  
وأصح القريض ماقارب النظ—م وان كان واضحاً مستبيناً  
فاذا قيل أطمع الناس طراً واذا ريم أعجز المعجزينا



صورة ما وجد بطرة الاصل الخطى الذى نقلنا عنه

كتاب قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب  
جمع الشيخ الاديب البليغ ، أبى على الحسن بن رشيق الأزدي  
رحمه الله رحمة واسعة

الحمد لله تعالى ذكره

نسخ برسم أستاذنا ووالدنا عمدة الاعيان والامانل ، وصدر الاقران  
والافاضل ، الجامع بين فضيلتى السيف والقلم. ومنبع الفوائد والحكم  
ناظورة الديوان وعين أمراء دولة آل عثمان «بهرام أفندي» دام الله  
تعالى سموه، وكتبته عدوه، وحقق فيما يرجوه آماله، وختم بالصالحات أعماله  
وكتبه المصطفى بن محب الدين الشافعى ، لطف الله تعالى به آمين

مقرون الطبع محفوظ

# بِسْمِ اَبِي الرِّجَمِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا

كتب الشيخ أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي إلى أبي الحسن علي  
ابن القاسم اللواتي رحمهما الله تعالى :

أمتع الله اخوانك ببقائك، وكفاهم الاساءة فيك ، وجعلني من بينهم  
الفداء لك. واسأل الذي شرح للعالم صدرك، وعمّر بالذکر قلبك ، وبسط بالحجة  
لسانك ، وبالخير يدك ، وقرن باليسداد قولك ، وبالاسداد عملك ، وان يجري  
مناظرتك في حسن الادب على رسمك، ويجعل الانصاف كما تؤثر حكما بينك  
وبين خصمك ، بلغني - أعزك الله - انك استحسننت معنى البيتين من  
مرثية الامير سيدنا أبي منصور، وهما الاخيران من هذه الاربعة الايات،  
ذكرت ما قبلهما لتعلقه بهما :

ألم ترهم كيف استقلوا ضحىً إلى كنف من رحمة الله واسع  
امام خميس ماج في البر بحرُه يسير كاتن اللجة المتدافع  
اذا ضربت فيه الطبول تتابعت به عذب يحكي ارتعاد الاصابع  
تجاوب نوح بات يندب شجوه وأيدي تكالی فوجئت بالفواعم

وان بعض من لا خلاق له في الأدب، ولا معرفة له بحقائق الكلام،  
عارضك فيهما بالظن، ونازك معناهما بالجهل، وادعى عليهما ضراب من السرقة،  
ونوعا من الاخذ، ولم تؤثر أيديك الله - من قصر لسان - ولا ضعف حجة وبيان،  
لكنا أوتيت من سوء فهم صاحبك، وقلة انصاف مشاعبك، لأن المعنى

المأخوذ بزعمه، انما هو قول عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي، يصف ما يحدث  
عند اندفاع الجدول في الماء، من تلك الرغوة والنفخات :

قد صاغ فيه النعمام أذممة ذراً ورواه جدول غمر  
تجيش فيه كأنما رعشت اليك منه أنامل عشر

فان كان المعترض أراد ذكر هذا الارتعاد والارتعاش، وذكر الاصابع  
والانامل، فصدق. إلا أن هذا لا يعد سرقة في السرقة لعل شتى  
منها: ان القصد غير واحد. ولأحب الاعتراض على عبد الكريم وليس له  
ها هنا ذنب أو أخذة به. وإنما الجناية لغيره، ولا تزد وازدة وزر أخرى، ولو  
أن هذا الناقد بصيراً، لنظر نظر تحقيق، وتأمل تأمل رقيق، فعرف بعد ما بين  
المقصدتين على قرب ما بين اللفظين، ولم يكن ذلك عنده محظوراً لأن  
عبد الله بن المعتز يقول في صفة جدول

كفيل لا شجارها بالحياة اذا ما جرى خلته يرمش

وليس لفظه الارتعاش من خاص البديع، فيعد ذكرها سرقة كما عدت  
علينا، وما الذي يشبه أنامل شيخ قائم ترمش كبراً، حتى شبه عبد الكريم  
بها ذلك الزبد المقيب منبعثاً عن مسقط النهر، من أصابع تكالي مبسوطة،  
ترعد طيشاً وجزعاً عند مفاجأة المصيبة، على عادات النساء: شبهت أنا بها  
تلك العذب الخافقة وهلا نظر الى قول امام الشعراء امرئ القيس :

«كلمع اليدين في جنى مكال» فعلم أن الاخذة منه أقرب، والوقوع تحته أشرف،  
ولكن الى ها هنا بلغ علمه وأدته مقدرته، ولو عد مثل هذا سرقة لم  
يسلم شيء من الكلام، على اني ما ادعيت اني ابتكرت هذا المعنى، وان  
كنت لم أره لاحد على هذه الصيغة، فيطالبي فيه مطالبة من ادعى ما ليس

له ، وسما الى فوق خطته ، وانما استحسنته أنت اما لما ارتك عين الرضى  
والمودة، واما لما اداك اليه تمييزك ، واعطتك قريحتك ، وقد جاء من هذا  
النوع كثير باللفظ وغير اللفظ، منه قول عبدالله بن العباس الربيعي، يصف  
برقاً وقد روى لغيره

كَأَنَّ تَقَابُهُ فِي السَّمَاءِ      يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبٍ

يعنى الاصابع لا محالة. وقال ابن المعتز يصف الفرس بمثل ذلك

وَلَهُ أَرْبَعُ تَرِيكَ إِذَا      هَمَّاجٍ مِنْهُ إِذَا مَلَ الْحَسَابِ

وقال أبو نخيلة فيما أحسب: «والشمس كالمرآة في كف الأشل» يعنى

ارتعاشها واضطرابها: وقال بعض المحدثين في صفة الحجاب، أظنه أبا الشيبان  
(فواقع تحكى ارتعاش البنان) ان كان في قصيدته التى من المتقارب. وإلا فهو  
لغيره بتنوين الجزء الاول واسكان الجزء الاخير ويكون حينئذ ضرباً من  
المربيع أولاً. وهذا هو نفس عبدالكريم، لو حاسبناه بما قال المتعصب له،  
وان كان قصد المتكلم الغض منى، لا التنبيه على فضل عبدالكريم، وقد روى  
أيضاً بمثل اقتران البنان وقال أبو نواس:

أَوْ كَقَرْنِ الشَّمْسِ تَنْشِقُ مِنْهُ      شَعْبٌ مِثْلُ انْفِرَاجِ الْبِنَانِ

وقال الحسن بن أحمد بن المغلس يذكر الشموع:

كَأَنَّ الشَّمْعَ وَقَدْ أَطْلَعَتْ      مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ رَمَحٍ سَنَانَا

إِنَّمَلُ أَعْدَائِكَ الْخَائِفِينَ      تَضَرَّعُ تَطَلُّبِ مَنْكَ الْإِمَانَا

أخذ صيغته من قول ابن المعتز يصف لسان حية وأحسن ما شاء

يَنْسَلُ مِنْهَا لِسَانٌ تَسْتَفِيثُ بِهِ      كَمَا تَعُوذُ بِالسَّبَابَةِ الْفَرِيقُ

وقال ابن المغلس ايضاً في صفة الدمنثويه:

وكانت دستنبيوها في أروس الاغصان يلمع  
سمر مُتَقَفَّةً استنبتها من العقيان تطبيع  
بات النسيم يهزها عبثا يربها ويرجع  
كأنامل ظلت تُسَلِّمُ من بعيد او تؤدع  
وقد وقع لي مثل هذا التشبيه في صفة نوع من أصابع الاترج فلو  
كنت رأيت هذه الابيات ما صنعتها وان كان بديعاً هو  
ماحات عرائس الجنان أحسن من اترجة الريان  
لبعضه فوق ذرى الاغصان اشارة التسليم بالبقان  
والسرى بن احمد الكندي المعروف ، بالرفا الموصلي ، يصف سجابة  
والبرق يومض بينها إيماض حالية الانامل  
فزاد على الاول ، وصنعت أنا بين يدي مولانا أدام الله عزه في صفة  
اترجة على هيئة الكف ، أمرني بوصفها في مجلس شرب  
اترجة سبطة الاطراف ناعمة تزهو بلون بديع غير منحوس  
كانما بسطت كفاً خالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس<sup>(١)</sup>  
وصنعت انا بديهة بمحضر من جماعة الشعراء، منهم عبد الواحد الوراق  
واسماعيل المطرز . وغيرهما على ظهر الطريق في قصة جرت :  
قبلي محتشما شادن أحوج ما كنت لتقييله  
أما إذ حيا بأترجة عرفت فيها كنه تأويله

---

(١) ابن باديس هو ملك القبروان في ذلك العهد وكان ينتمي الى بلاطه ابن شرف

وابن رشيق وغيرهما من أدباء ذلك العصر

لما تطيرت بمكوسها ضمت بنسانا نحو تمليله<sup>(١)</sup>  
ومما صنعت قديماً في ذكر الرايات قولي لمولانا أيده الله في قصيدة أمدحه بها  
وكانما راياته مشهورة يوم اقتحامه  
أيد تشير الى العدو بسامه أو بانهمزاه

ولما كثر هذه الكثرة وتصرف الناس فيه هذا التصرف لم يُسَمَّ  
أخذه سارقاً، لان المعنى يكون قليلاً فيحصر، ويُدعى صاحبه سارقاً مبتدعاً،  
فاذا شاع وتداولته الالسن بعضها من بعض، تساوى فيه الشعراء الا المجيد،  
فان له فضله، أو المقصر، فان عليه درك تقصيره، الا ان يزيد فيه شاعر زيادة  
بارعة مستحسنة، يستوجبها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه، وقد ألف العلماء  
والنقاد في سرقات الشعراء، كتباً عدة، وصنفوا تصانيف كثيرة، اختلاف  
فيها آراؤهم، وتباعدت طرائقهم، غير ان أهل التحصيل مجمعون من ذلك  
على ان السرقة انما تقع في البديع النادر، والخارج من العادة، وذلك في  
العبارات التي هي الالفاظ، كقول أبي عبادة البحري يصف سيفاً

حملت حمائله القديمة بقلة من عهد عاد غضة لم تذبل  
فقال ابن المعتز، متبعاً له وأخذاً منه :

ويهزون كل أخضر كالبقلة ماض على القلوب رسوب  
وله مكان آخر يذكر فيه ان شاء الله، لاما كان الناس فيه شرعاً واحداً  
من مستعمل الالفاظ الجارى على عاداتهم وعلى السننهم. وكذلك ما كان من  
المعاني الظاهرة المعتادة فانها معرضة الالفهام. متساقطة على فكري الانام. ومن

---

(١) مكوس اترجة هو كلمة هجيرة

ها هنا قلّ اختراع المعاني، وقلّت السرقات فيها، وصارت اذا وقعت أشهر:  
فلا بد من الاتيان على هذا فصلا فصلا ان شاء الله تعالى. وأنا أقتصر من  
جميع الشعراء في أكثر ما أورده على امرئ القيس، لانه المقدم لا محالة  
وان وقع في ذلك بعض الخلاف، فالميز الحاذق بطرق البلاغة يجد لكلامه  
من الفضيلة في نفسه ما لا يجد لغيره من كلام الشعراء. والبحث والتفتيش  
يزيدانه جلاله، ويوجبان له على ما سواه مزيةً، ويشهد الطبع وذوق الفطرة  
لذلك شهادةً بينةً واضحة لا يدركها شبهة، اذا قصد الانسان العدل وترك  
التمصّب. وأول ما بدأ به من ذلك ما كان من جهة الاستمارة كقوله:

(بمنجرد قيّد الأوابدهيكل) فانه أول من قيدها وسبق الى الاستمارة البديعة  
فاتبه الفاس، فقال بعضهم (قيّد الاوابدوالرهان جواد) فزاد زيادةً كانت  
بالتقص أشبه، لأن الرهان لا يقيّد، وان استهمير لها ذلك فبعيد واستغرق  
قول ابن المعتز (كأن ما يفر منه يطلبه) وان كان غاية لكون القيّد الزم ليد  
المطلوب وهما فيه أحصل. وقال أبو الطيّب: وهو خاتم الفحول من  
المؤلدين «أجل الظلم وربة السرحان»

فأتى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادةً جيدة وان لم يبلغ صاحب  
الاختراع. وقد سمي الطفيل بن مالك فرسه «قرزلا» والقرزل التقيّد بعينه  
وأين اللفظ من اللفظ حلاوةً وخفةً وسمى بمض خيل بنى تغلب «قيدا»  
اقتداءً بامرئ القيس وكقوله أيضاً في صفة الليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل كل

فاستمار ليل صلباً واعجازاً وجعله كالجلل المبارك. ومن ثم أخذ زهير:

(وعرى أفراس الصبي ورواحله) وهو من محاسن زهير المشهورة ومفاخره  
المعدودة غير أن أصله من حيث رأيت وتناوله منصور التميمي فقال :  
وأهدت له الايام عنهن سلوة وعري من رحل الصباية غاربه  
فانقلب المعنى عليه والتبس، لأنه أوم السامع انه كان مطية للصباية  
وان كان مراده إضافة الغارب الى الرحل أو الى مر كوب محذوف، كانه قال  
غارب رواحله، أو جعله كناية عن المر كوب كما يقال عنده من الظاهر كذا وكذا.  
كان حقه أن يقول : « وعري غارب الصباية من رحله » والجيد قول عمر  
ابن يزيد الشطرنجي مولى المهدي

لقد جل قدر الشيب ان كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب  
وجاء الطائي فخره بقوله :

جعل الشرى جملا وودع راضيا بالهون يتخذ القمود قمودا  
وقال أيضا وهو أبعد البيتين شها بما تقدم :

كلوا الضيم غضاوا شربوه فانكم أثتم بعير الظلم والظلم بارك  
وقول امرئ القيس في التمثيل وهو ضرب من الاستعارة :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل  
مثل قلبه بأعشار الجزور. وعينها بسهمين من سهام الميسر. ولم يعرض

له أحد من الشعراء، ومن باب التشبيه قول امرئ القيس :

كأن قلب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها الغناب والحشف البالي

وهو قول تقدم فيه جميع الناس، ونازعه فيه جماعة ولم يصنعوا شيئاً حتى

جاء بشار، وهو من المولدين، مثل امرئ القيس في الجاهلية فقال :

كأن مثار النقع فوق رؤسهم واسيافنا ليل تهاوي كواكب

فباعد أيضا كما باعد المتنبى أولا، وان كان الحدو واحدا، إلا في المفاصلة.  
غير انه أجاد ولا يسلم، وقال امرؤ القيس أيضا:

له أيتلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقریب تفعل  
فجمع هذه الاربعة من أربعة حيوانات لم يجتمع مثلها لاحد قبله، وأخذه  
بعض الشعراء فقال:

له قُصْرِيَا رِيمٍ وَشَدَقَا حَمَامَةٍ وَسَالِقَتَا هَيْقٍ مِنَ الرِّخِ أَرْبَدَا  
ولم يصنع شيئا، بل قصر كثيرا، واسقط تشبيها، وقال في صفة الغيث  
كَأَنَّ نَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلَهٍ كَبِيرٍ أَنَا فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ  
فاخذه من طرفة في صفة عقاب

وعجرا دقت بالجنح كأنها مع الصبح شيخ في بجادٍ مُقَنَّعٍ  
وتابعه النابغة فقال في صفة النسور:

تراهن خلف القوم خزرأعيونها جالوس الشيوخ في مسوك الارانب  
ومن مليح التشبيه قوله في صفة الديب

سموت اليها بعد ما نام صحبها سمو حباب الماء حالا على حال  
فلم يقدم عليه أحد غير انه فتح الباب لوضّاح اليمن، وقيل انه ابن  
أبي ربيعة فقال:

وأسقط علينا كسقوط الندي ليلة لا ناهٍ ولا زاجرٍ  
وقال في صفة الدرع

وسابغة الشك موضونة تضاهل في الطي كالسبرد  
فتناوله بعض بني حنيفة فقال يذكر قوماً منهم زمين:

تَفَيَّنَانَهُمْ عَنْ كُلِّ أَجْرَدٍ سَاحِجٍ وَسَابِقَةٍ كَانَهَا ظَهَرَ مَبْرَدٌ  
وَبِرْوَى طَلَى مَبْرَدٌ . فَقَصَرَ عَنِ بَيَانِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَجَاءَ بِالْقَوْلِ قَمِيدًا  
وَقَالَ يَذْكَرُ فَرَسًا طَرَدَ عَلَيْهِ الْوَحْشُ :

ذَعَرْتُ بِهَا سَرْبًا نَقِيًّا جَلُودَهُ وَآكِرَعَهُ وَشَى الْبُرُودَ مِنَ الْخَالِ  
كَأَنَّ الصَّوَارِ إِذَا تَجَاهَدْنَ عُدُوهُ عَلَى جِزْيِ خَيْلٍ تَجُولُ بِأَجْلَالِ  
أَخْذِهِ ذَوَالرَّمَةِ وَهَرَأُ أَحَدِ الْمَشْبُهَيْنِ ، وَثَانِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي التَّشْبِيهِ فَقَالَ  
وَمَوْشِيَةَ سَحْمِ الصِّيَامِيِّ كَانَهَا مَجْلَلَةٌ حَقٌّ عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ  
حِزْوِيَّةِ الْإِنْسَابِ أَوْ أَعُوجِيَّةِ عَلَيْهَا مِنَ الْقَهْزِ الْمَلَاءُ النَّوَاصِعُ  
تَكْشِفْنَ مِنْهَا عَن خَدُودِ شَمْرَتِ أَسَافِلِهَا مِنْ حَيْثُ بَانَ الْإِكَارِعُ  
فَجَاءَ بِهِ كَمَا تَرَى فِي ثَلَاثَةِ آيَاتٍ وَقَدْ جَاءَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بِهَذَا الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ  
فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ عَلَى غَيْرِ هَذَا النَّمْطِ فَقَالَ :

فَمَنْ لَنَا سَرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَاءٍ مَذِيلِ  
فَقَوْلُهُ مَذِيلٌ هُوَ ذَلِكَ . وَمِنْ بَابِ الْمَجَاسَةِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ  
عَلَى ظَهْرِ عَادِي يَحَارِبُهُ الْقَطَا إِذَا سَاقَهُ الْعُودَ وَالنَّبَاتِ طَلَى جَرَجْرًا  
وَقَوْلُهُ :

لَقَدْ طَمَحَ الْعَطَاخُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا  
وَقَوْلُهُ :

فَمَا قَاتَلُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَرِيْبِهِمْ وَلَا آذَنُوا جَارًا فَيُظْمِنُ سَالِمًا  
وَالْمَطَابِقَةُ وَالتَّجْنِيسُ أَفْضَحُ سَرَقَةٌ مِنْ غَيْرِهَا ، لِأَنَّ التَّشْبِيهِ وَمَا شَاكِلَ  
يَتَسَعُّ فِيهِ الْقَوْلُ . وَالْمَجَاسَةُ وَالتَّطْبِيقُ يَضِيقُ فِيمَا تَنَاوَلَهُ اللَّفْظُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ  
طَرَفَةَ أَخَذَ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي صِفَةِ جَبَلٍ . فَعَمَلُهُ فِي صِفَةِ عَقَابٍ . وَجَعَلَهُ

النابعة في صفة النور . وهو اللفظ والمعنى ، ولوتناول شاعر لقد طمع الطماح  
أو قوله : ليلبسني ما تلبسها ، لكان سار قابل مكابرا مُصَالِتا ، وكذلك قوله  
في المطابقة . مكر منفر مقبل مدبر معاً . افتضح ، ومن المطابقة قوله :

فان يدفنوا الداءَ لا تحفه وان يبعثوا الشر لا تقعد

ومن باب المبالغة قول امرء القيس يصف حلي امرأة :

كان على لباتها جرم مطل أصاب غضاً جزلاً وكف باجزال

فذكر الجرم وثم شبه به الحلي ثم ما كفاها الى ان جملة جرم غضاً وهو

أبقى ثم جملة جزلاً ليكون أشد لوقوده وأعظم لنوره وان كان أراد به

الكثرة . من قولهم عطاء جزل ، فقد جملة مختار الأن من وجد شيئاً كثيراً اختار

أفضله ، ثم جملة مكفوفاً بالاجزال زيادة في المبالغة . وقوله جرم غضاً مصطل

لانه يقلب الجرم فتظهر حرته . وهذا نهاية لا يتنا وله أحد على هذه الصفة

الا افتضح وقد أخذها النابعة فقال :

يضىء الحلي في اللبات منها كمثل الجرم بُدِّد في الظلام

فأجاد الا انه دون امرىء القيس لما في مبالغته من اللبس

وقال امرؤ القيس قبل هذا البيت :

يضىء الفراش وجهها الضجيجها كصباح زيت في قناديل ذُبَّال

فتناوله الناس منه الى ان بلغ الى عبد الله بن المعتز فقال وصرفه

الى الثغر :

الثمة في الدجى وبرق ثناباهُ يريني مواضِعَ اللثم

فما قصر في حسن الاتباع ، وتلطيف الاخذ ، والتعريف في القول ،

وقال امرؤ القيس :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر  
فقوله اليوم قر من تتميم المعنى، ومبالغة في اللفظ شديدة. وهو الذي  
فتق للشمراء هذا الفن، وتفننوا فيه ونوعوه، فجاءوا بالاحتراس وغيره  
فقال طرفة:

فسقى ديارك غير مُسَدِّها صوب الربيع وديعة تهى  
وقال آخر:

إذا الله أسقى ديمنتين ببقعة من الأرض سقيا رحمة فسقاها  
وقال أبو الطيب:

صلى الإله عليك غير مودع وسقى ثرى أبويك صوب غمام  
ومن هذه المبالغة قول امرئ القيس في التتميم والاحتراس:  
كان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يُنقَبِ  
فتناوله زهير فقال:

كان بنات العمى في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم  
وهو كثير جدا في شهر امرئ القيس، ويسمى أصحاب البديع ما كان  
مخصوصا من هذا النوع بالقافية «الايغال والتتبيع» وما كان في اضعاف البيت  
«المبالغة والتتيم» وفي كتاب العمدة من ذلك جملة كافية ان شاء الله، ومن  
مبالغته المشهورة قوله:

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا  
أخذه حسان فقال:

لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لاندبتها الكلوم  
فقصر عنه كثيرا، لان امرأ القيس قال فوق الاتب وهو ثوب كالبقيرة

وأيضاً فإن في بيته معنى متقدماً، وهو قوله : من القاصرات الطرف ، أراد  
انها منكسرة الجفن خافضة النظر، غير مُتَطَلِّمَة الى ما بَعْدَ، ولا ناظرة الى غير  
زوجها، كما قال أهل التعبير، ويجوز أن يكون من القاصرات الطرف بمعنى  
طرف الناظر اليها، أي لا يتجاوزها بالنظر. كقول أبي الطيب:

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا  
وتناول ابن المعتز ما تناوله حسّان من بيت امرئ القيس وتجاوز  
الحد فقال:

رق فلو مرت به ذرة في رجليها نعل من الورد  
لمزقت ديباجتي خده من غير ان جازت على الحد  
ويعدّون من مشهور المبالغات وتجاوزها قول امرئ القيس:  
تنورتها من اذرعها ودارها يثرب أدنى دارها نظر عال  
أراد نظر القلب لا نظر البصر، لان اذرعها بالشام، ويثرب مدينة  
الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك ما لا يمكن أن يرى منه ناراً  
إلا تخيلاً بقلبه لا غير، وقال في المبالغة والثقة بفرسه اذا أراد الصيد:

اذا ما ركبتنا قال ولدان حينما تعالوا الى أن يأتي الصوب يحطب  
أخذه ابن المعتز فقال في صفة الجارح:

قد وثق القوم له بما طلب فهو اذا جلى لصيد واضطرب  
سلوا سكاكينهم من القرب .

وقلت أنا في صفة قسي البندق:

طير أباييل جاءتنا فما برحت الا وأقواسنا الطير الاباييل

يرمئها بحصى طين مسومة كأن معدنها للرمى سجّيلٌ  
تمدو على ثقة منا باطبيها والذات تُقَدِّح والطنجير مغسول  
ومن باب الامتثال قول امرئ القيس يصف ربثة رباً لهم :  
وظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائرُه مثل التراب المدقق  
وجاء خفياً ليسفن الارض بطنه ترى الترب منه لاصفاً كل ملصق  
فقوله لاصفاً كل ملصق هو الاشارة، وهو نوع يسمى التتبيع  
وقوله :

ويَضْحَى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
فقوله فتيت المسك يدل على انها متماسكة، وكذلك قوله نؤوم الضحى  
وقوله لم تنتطق عن تفضل، يعنى من النطاق، يعنى انها مخدومة مكفية المؤونة  
فقد أتى في هذا بثلاث امارات كلها تتبيع، ترك الصفة وأتى بما يدل عليها  
وبعضهم يسمى هذا النوع الارداق، قالوا ومن ملح الايجاز وعجيبه قوله  
وان كنت قد أزمعت قتلى فاجلى  
أى اقتلى جملة ولا تنوعيه وهو عندهم نظير قوله :  
فلو انها نفس تموت سويةً ولكنها نفس تساقط أنفسا  
أخذه عبدة بن الطيب فقال يرثى قيس بن عاصم :  
فما كان قيس هلكاً هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما  
هذا معنى من جمال هلكه هلك جميع الناس من اتبعه وعاش في رفته  
كقول الاخر :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير  
ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وأخذه المجنون على التأويل الاول وهو اولاهما بامرئ القيس فقال  
عجبت امرؤ العذرى اضحى أحاديثنا تقوم بعد قوم  
وعروة مات موتا مستريحا وها أنا ميت فى كل يوم  
وقال كثير :

ونفس اذا ما كنت وحدى تقطعت كما انسل من ذات العظام فرنداها  
وقال قيس بن ذريح قبلهما :

تساقط نفسى حين القالك أنفسا يردن فلا يصدرن إلا صواديا  
ومن باب الالتفات قول امرئ القيس :

مجاورة بنى تمنى بن جرم هوانا ما أتيج من الهوان  
وتمنحها بنو تمنى بن جرم فغرم حنانك ذا الخنان  
أى رحمتك يا ذا الرحمة، عجز البيتين جيما فاقتدى به الناس فى هذا كما  
فعلوا فى غيره ، فقال جرير :

أتنى اذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقى البشام  
بينما هو يذكر الوداع القفت الى البشام فاستسقى له ، ومن باب

الحذف قوله :

وتصدغتك مخيلة الرجل المريض موضحة عن العظم  
بحسام سيفك أو لسانك والكلام الاصيل كارغب الكلام  
وكقول امرئ القيس أيضا : فلو انها نفس تموت سوية  
ومما فتحه للناس جيما وأغلقه دونهم قوله :

ألم تريانى كلما جنت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب  
ومن بدعه وماحه قوله :

تريف اذا قامت بوجه تمايلت تراشى الصوار الرخص الاتحرا  
تراشيه أى تعطيه الرشوة وتختبر تكسل، ويروى العواد الرخص فاخذه  
ظرفة فقال :

تحسب اللحظ عليها نجدةً يا لقوم للشباب المُسكر  
النجدة الشدة، يريد أن اللحظ يشتد عليها مرض طرفها، فيجوز أن يكون  
بحسب حكاية عنها، أى تحسب هي، ويجوز أن يكون المخاطب أى تحسب  
أنت، ومن محاورات امرىء القيس التى تقدم فيها وفات الناس قوله :  
تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلعا  
وعيشك لو شئنا أنانا رسوله سواكولكن لم نجد لك مدفعا  
فاخذه ابن أبى ربيعة وهو من المشهورين فى هذا المذهب والمجددين  
فيه فقال :

وناهدة الشديين قلت لها اتكى على الرمل فى ديمومة لم يهد  
فقلت على اسم الله أمرٌ كطاعة وان كنت قد كُلفت مالم أؤد  
فاين تراه منه؛ وان كان لم يبق غاية، وما زلنا نتناشد قول ابن هانى:  
اذا ذكرته النفس جاشت لذكره كما عثر الساقى بكأس من الخمر  
فدست ملحه ونظن انه ابتكره الى ان فكرت فى قول امرىء القيس  
اذا نال منها نظرة ريع قلبه كما روعت كأس الصبوح المخمرا  
فعمت انه هو الذى فتح له هذا المعنى وان لم يكن المعنيان سواء  
والشاعر يورد لفظا لمعنى فيفتح به لصاحبه معنى سواه، لولا هو لم يفتح  
كقول الفرزدق:

وما أنا بالباقي ولا الدهر فاعلمى براض بما قد كان أذهب من عقلى

أراد ولا الدهر براض. فقوله في نسق الكلام: (وما أنا بالباقي ولا الدهر)  
هو الذي فتح للبحترى قوله للفلاك :

سَتَفَنِي مَتَلَمَّا نَفَنِي وَتَبَلِي كَمَا نَبَلِي فَيُدْرِكُ مِنْكَ نَارُ  
وكقول دليل، آل المهلب، حين هربوا من سجن الحجاج بن يوسف:  
وقومهم كانوا الملوك هديتهم بظلماء لا يبدو بها ضوء كوكب  
نفر فرار الشمس ممن وراءنا وتُدْجُ في داج من الليل غيب  
ففتح بقوله نفر فرار الشمس، لابي الطيب، قوله :

فَاتِي الشَّرْقُ مِنْهَا فِي نِيَابِي دَنَانِيرًا تَقْرُ مِنَ البَنَاتِ  
وقال أبو تمام:

دار أجل الهوى عن أن ألم بها في الركب الاوعيني من منائحها  
فقوله: ألم بها في الركب، هو الذي فتح لأبي الطيب قوله :

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا  
وقد زعم قوم: انه انما نظم كلام الامام مالك بن أنس رضى الله عنه  
لما دعاه الخليفة، فأبى أن يركب الدابة وقال: لا أركب في أرض بها جسد  
رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وقال المرار:

ولامتدارك والشمس طفل يبيض نواشع الوادي محولا  
قال أبو عمرو الشيباني (طفل عند الليل حين يطفل الاياب) أخذه  
أبو فراس الحمداني على الجهة التي قدمنا قال:

عبرن بما سخ والليل طفل وجئن الى سليمة حين شابا  
أراد بقوله والليل طفل أوله، وبقوله: حين شابا، آخره، وهو الصباح.

فقول المراد: والشمس طفل هو الذي فتح لابن فراس ما قال، وليس اللفظان  
بمعنى، فيقال سرقة أو واقفه. على ان أبا عمر الزاهد قال الطفل بزوغ الشمس  
ساعة نطلع، أحسبه حكاه عن ثعلب وأنشد البيت المقدم ذكره  
وقال بشار:

وصحوتُ من سكر وكنت موكلا أرى الحمامة والغراب الايضاً  
يعنى بالحمامة المرآة والغراب الايض الشيب. وجمله غراباً لانه يفرق  
بين الأحبة. وقيل شبهه بالثلج والبرد، وكلاهما يسمى غراباً. وقيل بل هو  
الذؤابة من الشعر. وذكر الحمامة والغراب بهذا اللفز، هو الذي فتح لابن  
الرومي وصاحبه قولهما وقد لقيا شيخاً خضيباً

يا من يُسود بالخضاب مشيبه كما يعدُّ به من الشباب  
أقصر فلو سودت كل حمامة ييضاء ما عدت من الغرابان

البيت الاول لابن الرومي، والثاني لعبد الملك بن صالح، ارتجل بن الرومي  
بيته واستجازه وفي البيت الثاني تقصير، لأننا نرى بعض الحمام اسودخلةً،  
ولا نمده من الغرابان وهذا يحقق ان البيت ليس لابن الرومي، لأن معانيه  
كانت صحاحاً فلسفية.

وقال ابن هاني المغربي تابمًا لهما:

فلنأخذن من الزمان حمامة ولندفعن الى الزمان غرابا  
وفيه أيضاً ضمف، لأن ظاهره أن الحمامة ييضاء كما ان الغراب أسود،  
وليس الامر في الحقيقة كذلك

بح صوت المال مما منك يدعو ويصبح

هو الذي فتح لابن المعتر قوله:

كم صامت يخفق أكياسه قد صاح في ميزان ميراث  
ويروى وراث . والصائمُ المال من العين، من الذهب والفضة خاصة.  
وقول النابغة :

في ساعة فيها الجفون سواكن قد شمن أعينهن في الاغماد  
هو الذي هدى أبا الطيب الى قوله :

ولذا سم أعطيه العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل  
ولم أر من المؤلفين من جميع من رأيتهم، من نبه على هذا النوع.  
ومن بديع اصريء القيس المعدود قوله :

نظمتهم سلكي ومخلوحة كرك لامين على نابيل

سلكي حذاء الوجه . ومخلوحة يمينا وشمالا ، أراد انه طمن طعنتيه كأنهما  
طعنة واحدة من السرعة، كما يناول التلميذ أستاذه مر الريش، لامين في مره ،  
لثلاثين شرف الفرواقيل كما يناول الرجل صاحبه الرامي سهمين مرة وقيل هو رميك  
بهما اليه فيمر واحد كذا، والآخر كذا، وهذا كله من المبالغة في السرعة كما قال  
(مكرر مفر مقبل مدبر معا) وذلك انه أراد السرعة فجعله كالأفارا  
مقبلا مدبرا في حال واحدة، على سبيل المبالغة وان استحال ذلك . ثم شبهه  
تشبيه عيان بالحجر، اذا تدهدى فانك ترى منه الوجه وتقيضه . وهو في حال  
واحدة من الانحدار وهذا ما لا يلحق . أخذ الكميت معنى البيت الاول  
فقال يصف الثور

وعاث في عانة فيها بعثثة نحر المكافي والمكثوه يهتبل  
المكافي الذي يذبح شاتين أحدهما مقابلة الاخرى للمقيقة، فلم يأت  
هذا في حسن الاول وسرعه . وقال أبو الطيب

مازلت تقريرهم دراكفى الذرى ضربا كأن السيف فيه اثنان  
أراد السرعة وقد أجاد وإن لم يبلغ صاحب الاختراع. ولو قصد غير  
السرعة لكان مقصرا، لأن فوق الاثنين أعداد كثيرة. اسكن الغلط والوم  
أكثر ما يقع بين الواحد والاثنين، وما قام مقامهما. وكان هذا من المبالغة  
والجواز الذى يكاد أن يكون حقيقة وليس من قول الاول فى صفة الضبيع  
عَشْتَزَرَةٌ جِوَاعِرُهَا ثَمَان

فان أبا نصر الجوهري. قال: وصفها بكثرة الجمر كأن لها جواعر  
كثيرة، كما يقال فلان يأكل فى سبعة امعاء وان كان له معاء واحد.  
ومن هذا الباب قول ابى عمر واحمد بن دراج القسطلي  
اذا شرق الحادى بهم شرقت بها نوى يومها يومان والحين أحيان  
وهو حقيقة لا مجاز وذلك انه أشار الى قول ابن مقبل  
فرقة غير اجتماع ما مشى رجل كما تفرق أهل الشام واليمن  
لأن كل طائفة تقطع يوما فتكون المسافة بينهما يومين:  
وقال عمر بن أحمد الباهلي نحو ذلك:

وكنيت وهم كأبى سبات تفرقا سوى ثم كانا منجدا وتهاميا  
أبناء سبات، الليل والنهار. وقيل هما: طريقان. وقيل: رجلان  
وقال بعض الاعراب

فان تك أشطان الهوى افتقرت بنا كما افترق ابنا جالس وسمير  
جالس وسمير: طريقان هذا مشرق وهذا مغرب. وابناهما السالكان  
فيهما، فكما أمعنا فى سير ازدادا بعدا. وقيل جالس طريق يصعد فى نجد  
وسمير واد. وفى بيت القسطلي عيب ظاهر وذلك انه قال يومان وقال أحيان

وكان يلزمه أن يقول حينان ، اللهم إلا أن يريد تفاوت السير في الرّيبِ  
والمجل . واقامة أحد الفريقين في بعض المناهل ، فلمله والسبك الاول اجود  
لو تم له . واللفظة تصلح بيتا والبيت يصلح قصيدة . وقد تناولت انا هذا  
المعنى ثلاث مرات احدها لما رأيت قول الاعرابي في بعض أناشيد ابى العباس ،  
نعلب فقلت :

عري تنبت اقراني وتضاعف احزاتي

باعدنا وانجدم فيوم البعد يومان

بعد ان رأيت بيت القسطلي فلم أره صنع شيئا للملة التي قدمت آنفا

فقلت كالمستدرك عليه المنبه على تقصيره ، مع فضيلته وتقدمه

فارقت بالكره من اهوى وفارقتي شتان لكننا في الود سيئات

كأنما قد طوبنا يوم فرقتنا شرقا وغربا فأمسى وهو يومان

وقلت ثالثة :

يا بعد ما بين ممسانا ومصبحنا والعيس قاطعة ميلين في ميل

بانت على رسلاها ترمي الفجاج بنا عنّا وعنّا بكم أيدي المراسيل

سيرا نريد به ضعفا مسافته كأنما هو سير قدّ بالطول

ومثل هذا قد يقع كثيرا بين المتعاصرين وغيرهما ، لما فيه من الرد على

الأول ، والاستظهار بالاصلاح لما أفسد ، والسلامة من العيب والزيادة في

التمثيل . وقد علمنا أن الكلام من الكلام مأخوذ ، وبه متعلق ، والحدق في

الأخذ على ضروب ، أنا ذا كر منها ما أمكن وتيسر ، إذ ليست هذه الرسالة

موضع استقصاء ، لا سيما وقد فرغت في كتاب العمدة مما يراد أو أكثر .

والمعاني التي يقال أنها اختراعات وأخذها سرفات انما هي المقاصد وترتيباتها

والطرق اليها، هي التي يسمى أخذها سرقة لا محالة، كقول أبي نواس:  
بيننا على كسرى سماء مدامة مكالمة حافاتها بنجوم  
فلورُد في كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفاني دون كل نديم  
وقوله :

وكأني وما أذبن منها قعدى يُزَيْن التحكما  
لم يُطِق حمله السلاح الى الحرب فأوصى المطيق الايقيا  
القعدية طائفة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به، ولا تخرج بأنفسها،  
يزعمون أن منهم عبد الله بن صمر بن الخطاب رضى الله عنها تزينا به .  
وكقول أبي نواس أيضا :

قد قلت للعباس معتذرا عن ضعف شكرية ومعترفا  
أنت امرؤ قلدتني نعمأ أوهت قوى شكرى فقد ضمفا  
مالك منى اليوم معذرة جاءتك بالتصريح منكشفا  
لا تُسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا  
وكقوله فى صفة الكؤوس :

فى كؤوس كأنهن نجوم دوائر بروحها أيدينا  
طامات مع السقاة علينا فاذا ما غرَبن يغرُبن فينا

فان هذا وأشباهه، مما انقرد به كل واحد من الشعراء، وإن كان ذلك  
قليلًا جدا، لا يكاد يتناوله حاذق، إلا أن يزيد فيه زيادة تُحسنه أو تنقصه  
من لفظه وتسمو فى معناه، فيكون أيضا له فضيلة الایجاز. وكذلك تجامى  
الناس أشياء كثيرة من الممانى، أخذت حقها من اللفظ، فلم يبق فيها فضلة  
تلمس. والقرائح تتفاضل. ألا ترى الى قول جميل فى صفة امرأة فاجأها :

غدا لا هب في الحى لم يدرأنا نمر ولا أرض لنا بطريق  
فلما انتحيناه اتقانا بكمه وأعلن من رؤعاتنا بشيق  
كيف وصف حقيقة الحال حتى صورها تصويرا ، مع حسن لفظ  
وجزالة بيّنة . ومع ذلك ليس يبالغ قول النايفة  
سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقنا باليسد  
على أن النايفة أقدم عصرا وأشبه بالفخامة من جميل ، وكذلك قول  
الطرماح يصف لحسى النايفة فى الارض  
وتوضع مشكوكين ألقتهما معا كوطية ظبي القف بين الجمادن  
لم يبلغ به قول الخبل السعدى ، يصف دارا مقفرة :  
وكانما أثر النعاج بجوها بمدافع الركنتين ودع جراد  
وقد نقله المعتر على جهته فقال فى صفة دار  
كأن أثار وحشى الطباء بها ودع تخلفه أظلافها سبق  
وأشدد أبو عمر والشيبانى فى القرموط من ثمر الغضا وهو كالرمان  
ونشر جيب الدرع عنها إذا مشت جميل كقرموط الغضا الخضل الندى  
ولا أدرى هذا الشعر قبل النايفة أو بعده وعلى كل حال فقول النايفة  
يخططن بالميدان فى كل منزل ويخبئن رمان الثدى النواهد  
أفضل منه وأجود سبكا واحسن دياجة وقال الفرزدق :  
وغد وبمد غد كلا نوحبهما يبدى لك الخبر الذى لم نعلم  
وقد قصر عن قول طرفة  
ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا وبأتيك بالاخبار من لم تزود  
لانه جاء بالتقسيم فى بيت . ومما وقعت فيه زيادة أوجبت لصاحبها

الفضيلة قول الفرزدق :

كلتا يديه يمين غير مخلقة تزجي المنايا وتسقي المجدب المطرا  
أخذه ابن الممزر أخذ الحذاق ، فقال في علي والعباس رضى الله عنهما ،

مثل عباس على كيد لا تقل ينى ويسرى فهما

فزادنا هذه الزيادة الصحيحة المليحة وقول طرفة :

فكقائب تردى كما يردى الى الجييف النسورُ

فقال ابو الطيب تابعا له

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

فطار في السماء مع العقاب ونرك طرفة في الارض على التراب . وقال بشار :

شربنا من فؤاد الدن حتى تركنا الدن ليس له فؤاد

فاخذه النظامُ فقال

مازلت آخذ روح الزق في لطف واستميح دما من غير مجروح

حتى اثنتيت ولى روحا في جسدى والزق مطرَح جسم بلا روح

فزاد ايضا زيادة ظاهرة الا انه في يمتن ، لا تساع ما اورد من المعانى

وقال تميم بن مقبل

وقديبعث الشر الضميف ولا ترى اذا عابت الاحساب عنهن مزودا

أخذه ابن الرومى فقال

رأيت جنة الحرب غير كفاتها اذا اختلفت فيها الرماح الشواجر

كذلك زناد النار منها بنجوة ولكنه يصلى صلاها المساعِرُ

وكرره فقال :

لى ابن عمٍ يجرُّ الشر مجتهدا قدما على ولا يصلى لها نارا

يحنى ويصلى بما يحنى فيفخذنى وكلما كان زندا كنت سعاوا  
وقال الراعى يصف المطى

سما بجرماة كأن ظلالها حباب تبدو تارة وتُرْحَزُحُ  
فقال عبد الله بن المعتز :

والظل قد حذيت به أشخاصه مشى المهار الدم بين رمال  
ومما اختصر لفظه واستوجبه الآخذ قول بشار :

من راقب الناس لا يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفانك اللهبجُ  
أخذه سلم الخاسر فقال واختصره اختصارا لطيفا استوجبه به  
من راقب الناس يجرموه وفاز باللذة الجسورُ (١)

وكان بشار وقد أبعد عن نفسه وقطعه عن مجلسه، لما أخذ هذا البيت،  
حتى استعان عليه بجملة أصحابه وكان تلميذاً له يقتدى به ويأخذ عنه . ووجد  
هذا قول ابن المعتز على حذقه

فشربنا من المدام كؤوسا وجمالنا التقييل نُقِلَ الشراب  
فانه نقله من قول أبي نواس

مالى فى الناس كلمم مثل مائى خمر ونقى القُبيل  
فاطال المختصر وقصر عنه . ومن محاسن هذا الباب ابراز المعنى وحذف  
الفضول كقول الأول أنشده ابن قتيبة

ولو يكشف الاضلاع الفى تحتها لعمدى بأوساط الفؤاد مضارب

---

(١) وفى رواية : من راقب الناس مات غمًا

لها نعمٌ من مائل الحب واضع بمجتمع الاشراف بادٍ وقارب  
وفسره فقال مضارب مسالك ومذاهب. يريد ان في هذه الطرائق  
من الحب مثل النعم وهي الابل خاصة. والواضع الذي يرعى الحمض . يقول  
فالحب قد وضع في قلبي ، كما تضع الابل في الحمض والبادى يرعى حول الماء والقارب  
الذى يطلبه ليرده وأخذ هذا المعنى ابن الرومى وأحسن ما شاء أن يحسن  
ديار التي أروعيتها بارض الهوى وامطرتة وسمى دمي أولاً  
جملت لها صدرى مراداً تروده وبواتها من حبة القلب منزلا  
فهذا هو الاول بعينه وزيادة . وأنت ترى ما بين العبارتين من الاختلاف  
على ان كثيراً قد قال :

أباحث حى لم يرعه الناس قبلها وحلت تلاحا لم تكن قبل حلت  
وقال آخر :

وقد نزلت أميمةٌ من فؤادى منازل ما أبجنَ ولا رُعيننا  
وقال بعض المتقدمين

ولو كنت يوماً كنت يوماً باسمد ترى شمسـه والمزن تهطل بالقطر  
فأخذه أبو الطيب فابرزه ابرازاً عجيباً بقوله  
وترى الفضيلة لا ترد فضيلة الشمس تشرق والسحاب كنهورا  
وأين قول الاعشى :

يقوم على الرغم فى قومه فيعفو اذا شـساء أو ينتقم  
من قول الاخطل

شمس المداوة حتى يستقادهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا  
الاول خص قوم الممدوح بالقيام فيهم ، اما طالباً لهم أو طالباً فيهم .

وجعل اليه ما شاء من العفو والانتقام . والثاني لم يقنع لمدوحه بدون  
الاستفادة لهم ثم حكم عليهم بالعفو ، اذا قدروا ، وهو أمدح لهم . وقال زهير  
يصف الفرس وهو أول من قاله :

بذي مبيعة لا موضع الرمح مسلم لبطء ولا ما خلف ذلك خاذله  
موضع الرمح السكائبه مما يلي الحارك . يقول هو يجري جيما لا يثقل  
كفله هاديه . فقال القطامي يصف الابل بل النساء

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل  
فجاء به ذهباً ابريزا وكان زهيراً لم يسلك معه طريقا  
وقال شاعر قديم :

واذا الحكمة نادروا طمن السكلى ندر البكاره في الجزاء المضعف  
يقول اندرت ديارهم كما يندر البكاره في الدية وهي جمع بكرة أى تسقط  
فاخذه جرير فقال

وتسقط بينها المرعى لغوا كما لغيت في الدية الحوارا  
أنشد المفضل :

ألبست اثواب الفتاة سراتهم من بعد ما ركبوا أصول السحبر  
قال ثعلب عن ابن الاعرابي معناه اني قتلتهم لا غدروا ، ففصرجت  
اثوابهم بالدماء فصارت كأنها معصفرة على عروس  
أخذه أبو الطيب فقال

حشى الفحول من الحكمة بصيغه ما يلبسون من الحديد معصفرا  
فشرح وبين وزاد بموزونه على منشور ثعلب ، لان الحديد غير الثياب  
ومن أنواع الاخذ نقل المعنى والصفة ، كقول عنتره يصف الذباب :

هزجا يحك ذراعاه بذراعاه قدح المكب على الزناد الأجنم  
فلم يحسر عليه أحد. غير أن ذا الرمة نقل معنى الصفة الى الجندب فقال :  
كان رجله رجلا مقطف عجل اذا تجاوب من بُرديه ترنيم  
المقطف راكب الدابة القطوف فنقل صفة يدى الذباب الى رجل  
الجندب فأحسن الاخذ وكأنه لم يعرض لعنتره في معناه وقال السلمي في  
صفة الزنبور من أبيات:

اذا حك أعلى رأسه فكأنما بسا الفتيه من يديه جوامع  
فباعد عنتره في الصنفة وان قاربه في الموصوف . وتعلق في اللفظ  
بصريع ، اذ يقول في النساء :

فقطت بأيديها ثمار نحورها كأيدي أسارى أتملتها الجوامع  
وأنشد ابن قتيبه :

وقد كتب الشيخان لي في صحيفتي شهادة عدل أدحضت كل باطل  
قال يعني والديه . يقول يدنا في صحيفة وجهه شبههما . والصحيفة عندهم  
كناية عن الوجه وقال ابن الدمينه :

اذا سفروا بمد التهجر والسرى جلوا عن غراب السن بيض الصحائف  
فنقل ابن الرومي معنى هذا المدح الى الذم فقال فابعد في التمثيل والتشبيه:  
لك وجه كأخر الصنك فيه لمحات كثيرة من رجال  
نخطوط الشهود مختلفات شاهدات لذلت بابن حلال  
فاستحققه بمكسه اياه وزيادته فيه ، ونقله عن بابيه واستظهاره بحسن  
التشبيه ، في اختلاف الخطوط وهذا من سحر الكلام . ومن العكس قول  
الصنوبري في امرئ القيس :

والسواد العذار بعد ايضاض كايضاض العذار بعد اسواد  
أخذه من قول ابن الرومي  
عَدِمْتُ سواد العارضين وقبله يياضهما الممود إذأنا أمردُ  
إلا أن في قوله الممود ضرباً من الاحتياط والتتيم بديعاً. ومنه قول

أبي الطيب

وما الحدائة عن علم بمائة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب  
أخذه من قول شقيق المشيرى :  
فان قيل لي ما في الشيوخ من الهوى فقد تعرض الالهواء للشيب والارد  
ومن العكس قول أبي الطيب يذكر فرسنا خاض الفرات  
تراه كأن الماء مر بجسمه وأقبل رأس وحده وتليل  
وقال مرة أخرى يذكر كثرة السلاح  
أتوك يجررون الحديد كأنما سروا بجياد ما هنن قوائم  
وانما عكس قول الاول، يصف ابلا في سرعها أنشده ابن الاعرابي:  
نظرتُ اليها غدوةً فكانها مع الشمس لم تخلق لهن رؤوس  
وقد جمعت الصفتين في صباى جيماً وكان يجب أبا اسحق المصري.  
وما كنت حينئذ سمعت ما أنشد ابن الاعرابي فقلت في وادي الحمدي  
تحكى غواربه غوارب بُزَلِ جاءت بغير قوادم وهو ادى  
ومنهم من ينقل اللفظ بعينه الى معنى موصوف آخر، كقول أبي النجم  
في وصفه للفرس

كأنه في الجُل وهو ساي مشتمل جاء من الحتم  
وكقول امرئ القيس يصف الديار

كما خط عبرانية يمينه بتياء جبر ثم عرض أسطرا  
فان أحسن ما فيه، قوله: عرض أسطرا. ليس من العرض الذي هو  
خلاف الطول ولا العرض الذي هو الناحية والسكنه من التعريض. كأنه قال  
أدق السطور فصا، كأنه معروض مخف، لم يظهر ولا يصرح، هكذا قال فيه لخدق.  
أخذه ابن المعتز فقال يصف الجول

بدت في بياض الآل والبيد دونها كأسطر رق أمرض الخط كاتبه  
فأوضح العبارة وأبرز المعنى وتناولته منه أبو فراس الحمداني فقال  
يصف النيل :

كأنما النيل عليه الجسر درج بياض خُطِّ فيه سطر  
وأما نقل بعض لفظ البيت ومعناه المشتهر المعتاد، كقول صرقش الأكبر  
النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكَف عم  
وقال الآخر

كان دنانيرا على قسماهم

وقول أبي العباس الاعمى ( ووجوه مثل دنانير هُاس )  
فاكثر من أن يحصى أو يمد سرقة . الا انقول ابن المعتز :  
( عِتَاقُ دنانير الوجوه صِبَاحُ ) مزبة على ما تقدم لجملة الوجوه  
في ذاتها دنانير من جهة الاستعارة وكذلك قول الصنوبري  
نقشت يد الجُدري وَجَنَّتَه هل جاء دينار بلا نقش  
فهذه الزيادة لها مزبة خرجت بها عن الايات المتقدمة لا محالة.  
ودون هذا النوع في الكثرة والوجود نقل جميع معنى البيت وبعض  
الفاظه، كقول صريع :

يكسو السيوف دماء الناكثين به ويجمل الهام تيجان القنا الذُّبُلِ  
أخذه ابن المعتز فقال

ويجمل هاماتِ أعدائه فلانسَ يلبسهن الرماحا  
فجمل القلانس مكان التيجان ويلبس مكان يكسو ، وقصر عن صريع  
لانه أسقط المعنى بتركه ذكر السيوف والدماء والذي ابتكر المعنى جرير بقوله :

كان رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا  
وأتى عبد الكريم فقال

يتوج أرماحه بالرؤوس ويخضب أسيافه بالدم  
فبدل الكسوة بالخضاب وتناول البيت بأسره الا انه قد أجاد لفظا  
وموازنة وقد قال أبو الطيب :

مبرقى خيلهم بالبيض متخذى هام الحكاة على أرماحهم عذبا  
فأساء في تشبيهه الهام بالمذب مع علمه بمعنى قول أبي تمام  
من كل ذى لمة غطت صفائرها صدر القناة فقد كادت ترى علما  
وقال ابن المعتز :

يا من سبا قلبى بأول نظرةٍ فى نظرةٍ أخرى إلى شفاء  
فقال أبو الطيب

ففى تغرم الاولى من الاحظم حتى بثانية والمتلف الشيء غارمه  
فجاء بمعنى بيت ابن المعتز ونقل من قوله أول نظرة وقوله فى نظرة  
أخرى فقال الاولى من الاحظ بثانية غير انه زاد ذكر الغرامة وذيل البيت  
بما ذيله وعقب بلزوم ذلك . وقال الطريس بن عبد الله

قضينا شريكا دَيْنُهُ كان عندنا بنى غامد والحسن يوصف أحمرأ

فذكر ان دما كان لحم في الارذ فادر كوا بنا رجم. نقله بشاوق قال يخاطب عشيقته.

فاذا خلونا فا دُخلى في الحسن ان الحسن أحر

ورواه بعضهم (في البحر ان الحسن) وكلا القولين انما يراد به الشباب وفي

قولهم الحسن أحر ثلاثة أقوال. أحدها ان فيه مشقة لا ينال الا بعدها، كما

يقال الموت الاحمر لما يراق فيه من الدماء وكأنه كناية عن القتل. وقول ثان

انه يراد به ظهور الدم في الوجه. والقول الثالث الجرة المعروفة لانها أشهر

الالوان وأكثرها موافقة لكل من لبسها، وليس غيرها من الالوان

كذلك. وقال ابن المعتز يصف فرسا

أدهم مصقول ظلام الجسم

فقال ابن هاني في صفة خيل

صقيلات أجسام البروق كأنما أمرت عليها بالشموس المدارك

فنقل الصفة عن الظلمة الى البرق واقتضى معنى الخفة والسرعة، وزاد

فيه تشبيها عجيبا بهذه الاستمارة. وقال عدى بن الرقاع في صفة ولد الظبية

ترجى أغنّ كان ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مِدَادَهَا

فقال ابن المعتز متبعا له في ذلك ووصف غزلانا

قد أطلمت ابر القرون كأنها أخذ المراد من سحيق الأمد

وقال البحتري كما قدمنا يصف سيفا قديما:

حلت حمائله القديعة بقلة من عهد عاد غضة لم تذب

ورواه قوم من عهد تبع. وقالوا هكذا صنع أولا وانما بدله أو يُبدل

له، لما أخذ عليه ترك صرفه، فقال ابن المعتز

ويهزون كل أخضر كالبقلة

وَأْتَى مُحَمَّدُ بْنُ هَانِي الْمَغْرِبِيُّ فَقَالَ  
وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَا نَمًا بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْآخِضِرِ  
فَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِعَدِّ ابْنِ هَانِي لَا مَحَالَةَ، يَصِفُ قَوْمًا  
بِالشَّجَاعَةِ :

لَهُمْ وَرَقٌ مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَتَبِعَ حَدِيدُ الطَّبَا إِلَّا انْتِلَامَ الْمُضَارِبِ  
فَتَنَاوَلُ مِنْ ابْنِ هَانِي الْوَرَقَ وَجَمَعَ بَيْنَ رِوَايَتِي الْبَحْتَرِيِّ، وَأَشَارَ إِلَى يَتِ  
النَّابَةِ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ وَكَرَّرَهُ فَقَالَ :

رَأَوْا وَرَقَ الْبَيْضِ الْخِلْفَافِ هَشَائِمًا وَشَوْكَ الْإِعَالَى فَارْعَا وَهَنْزَمَا  
فَذَكَرَ الْوَرَقَ الَّذِي ذَكَرَهَا ابْنُ هَانِي وَنَاقِضَ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْغَضَّةِ  
بِالْهَشَائِمِ لَمَّا اقْتَضَاهُ الْمَعْنَى الَّذِي نَحَا إِلَيْهِ وَيَتَّفَقُ الشَّاعِرَانِ فِي التَّسْمِينِ وَهُوَ  
أَقْلُ وَجُودًا وَالذَّانِي تَضْمِينًا كَقَوْلِ ابْنِ الْمَعْتَزِ يَصِفُ رَوْضَةً :

تَبَدُّوا إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ فَكَأَنَّمَا كَانَا عَلَى مَيْعَادِ  
وَهَذَا لَا يَكُونُ سَرَقَةً لِأَنَّهَا تَكُونُ فَاضِحَةً وَلَا تَكُونُ اتِّفَاقًا مِنْ غَيْرِ  
قَصْدٍ لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ مَشْهُورَةٌ وَلَا يُمْكِنُ لِابْنِ الْمَعْتَزِ أَنْ يَقُولَ لَمْ أَسْمَعْهَا لِلْأَسْوَدِ  
ابْنِ يَعْفَرٍ، وَإِمَامًا مُنَاقِضَةً كَقَوْلِهِ :

عَلَى فَرَاشٍ مِنَ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ وَمَا بُدِّئَتْ مِنْ نَفْحَاتِ الْوَرْدِ بِالْأَسِّ  
الْقَسَمِ مَشْهُورٍ لِابْنِ الضَّحَّاكِ الْخَلِيعِ، وَيُرْوَى لِابْنِ نَوَاسٍ وَأَمَّا إِهْتِمَامًا  
وَتَشْبِيهًُا كَقَوْلِهِ فِي بَسْتَانِهِ وَذَمِّهِ إِيَّاهُ :

كُلُّ أَمْرٍ عَامَّتَهُ مِنَ الْبَشَرِ بَسْتَانُهُ أَثَى وَبَسْتَانِي ذَكَرَ  
إِهْتِمَامًا قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ الْعَجَلِيِّ

انى وكل شاعر من البشر شيطانه انى وشيطانى ذكر  
وانى كالمهم الممثل . وليست هذه قسمة ولكنها أبيات مسطورة  
أشبهت الاقسمة فجننا بها معها اتساعاً ، وقال ابن المعتز يذكر فعل النبي  
صلى الله عليه وسلم بعلى عليه السلام :

وضم علياً الى صدره كما ضم باز اليه الجناحا  
وهذا القسم لابى دواد الايادى . وإما نسيانا يمر الشعر بسمى الشاعر  
لغيره فيدور فى رأسه أو يأتى عليه الزمان الطويل فينسى انه سمعه قديماً ، فاما اذا  
كان للمعاصر فهو أسهل على أخذه اذا تساوى فى الرقة والاجادة . وربما كان  
ذلك اتفاق قرايح وتحكيك من غير أن يكون أحدهما أخذ من الآخر ، كقول  
صريع فى داود بن يزيد بن المهلب :

تجود بالنفس ان ضمن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
وقول أبى الشيص فى يعقوب بن داود ، من رواية الصولى فى كتاب  
الوزراء وخاطب المهدي .

أمسى يقيمك بنفس قد حباك بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
وأقل من الاتفاق فى قسيم الاتفاق فى البيت بأسره . و - بيله سبيل  
القديم فيما تقدم من الاعتذار عنه ، وان كان أبداً ، غير ان أباعه و بن الملاء  
سئل عن بيتى امرى القيس وطرفة وما جرى مجراها فقال .  
( عقول رجال توافت على السنتها )

وكان هذا كثيراً ما يعرض للفرزدق ، اما نسيانا واما تغليبا ، لأنه كان  
راوية للشعر ، أكثر منه ، فاهراً لشعراء عصره ، مهيباً فيهم ، ولم يكن أحدهم  
يرميه بالعجز والتقصير ، فينسب ما يأخذه الى السرقة ، لانه ما تعاطى شيئاً

يفوته عمل مثله، الا ان جريرا كان يرميه بالسرق والاجتلاب على ان الاجتلاب يكون لغير معنى السرق، وهو أن يرى الشاعر بيتاً يصلح لموضع من شعره فيجتلبه وقد فعل ذلك جرير في بيتي المملوط السعدي .

ان الذين غدوا بقلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا  
غيضن من عبراتهم وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا  
وهما من أفضل ما في قصيدته، والذي أعتقده وأقول به، أنه لم يخف على  
حاذق بالصنعة أن الصانع اذا صنع شعراً ما وقافية ما لمن قبله، وكان من الشعراء  
شعر في ذلك الوزن، وذلك الروي، وأراد التأخر معنى به، فأخذ في نظمه. ان  
الوزن يحضره والقافية تضطره، وسياق الالفاظ يحدوه حتى يورده نفس  
كلام الاول ومعناه، حتى كأنه سمعه وقصد سرقة، وان لم يكن سمعه قط. وعلى  
هذا يحمل ما كان من شعر امرئ القيس وطرفة لو كان في عصره، وان  
كان لم يسمع قصيدته، كما زعم وقد استخاف على ذلك خفاف . وأما ما يحكى عن  
الفرزدق وجرير في الجيمية وإتمام الفرزدق كل بيت أنشد صدره بعجز  
ما قاله جرير سواء، فانما ذلك لمعرفته بطريقة ومنحاه في الشعر . وكذلك  
ما يحكى عنهما في الدالية المنصوبة، وقول كل واحد منهما كأنك بفلان قد  
قال كذا فاتي بالبيت المقول على ما قاله انه يقال عليه، انما ذلك لان المناقضة  
بينهما طالت، حتى عرف كل واحد منهما، مرى صاحبه ومنزاه في المناقضة،  
كأن المعنى يقتضى جواباً ونقضاً لا يمدوه، فهذه العلة فيما جرى بينهما من  
الموافقات التي وردت بها الاخبار، وهي موافقات كثيرة، وربما تناول  
الشاعران معنى شاعر متقدم ليولد منه معنى محدث، فاتفقا كقول حمزة  
ابن بيس يمدح الفيض .

ولأمة لا متك يا فيض في العدى ومن ذا الذي يُبثي النمام عن القطر  
تناوله أبو الطيب المتنبي، والسرى الموصلى، في وقت واحد وممدوحهما  
واحد، فقال أبو الطيب في سيف الدولة :

وما نناك كلام الناس عن كرم ومن يرد طريق المعارض المهطل  
وقال السرى الموصلى فيه أيضاً

هو النمام فهل تثنى صواعقه وهل تُسد على شؤبوه السبل  
وربما وقع هذا من غير ابتداء، فيظن صاحبه أنه اخترعه كما ذكر  
الشماعبي في اليتيمة. فانه قال كان قد اتفق لي في أيام الصبي معنى بديع لم أقدر  
أنى سُبقت اليه ولا شوركت فيه، وهو قولي في آخر هذه الايات:

قلبي وجداً مشتعل على الهموم مشتعل

وقد كستني في الهوى ملابس الصب الغزل

انسانة فتانة بدر الدجى منها خجل

اذا زنت عيني بها فبالدوع تفتسل

فأنشدت لابن هندو :

يقولون لي ما بال عينك مذرأت محاسن هذا الظبي أدمعها هطل

فقات زنت عيني بطلمعة وجهه فكان لها من صوب أدمعها غسل

فصح عندي توارد الخواطر وتشاركها في المعاني. قال الشيخ أبو علي

ابن العجب مواردته ابن هندو، وإنما العجب قوله ومعنى بديع لم أقدر اني

سُبقت اليه ولا شوركت فيه، وأبو الطيب يقول في صفة الحمى.

: اذا ما فارقتني غسالتني كأننا عاكفان على حرام

وهل هذا الا ذلك بعينه، وأبو الطيب أحسن لفظاً لقوله:

### كأنا عاكفان على حرام

وصح له ذلك لقوله وزائرتي كأن بها حياء، فالزيارة والحياء يقتضيان ما أشار إليه لانهما ليسا من شأن الزوجة، ولا من شأن المشوقة ولم يصرح بلفظ الزنا كما صرح الثعالبي وابن هندو. ومع ذلك فمعناه أصح بنية، وأكثر تمكنا من جهة أخرى. وذلك انه وصف من نفسه وزائرتي ذكراً وأنثى، والزنا قد يقع بينهما، وذكرنا زنى بين مؤنثين. فقال الثعالبي: اذا زنت عيني بها، وقال ابن هندو: زنت عيني بطاعة وجهه، ولو قال زنا ناظري أو لحظي لكان أصح، لان الانثى وهى العين لا تزنى بالطلعة ولا بالانسانة وقد قالت أعرايبة لرجل رآته يلاحظ ابنتها:

وهل لك منها غير انك ناكح بعينيك عينيها فهل ذلك نافع  
فأضافت النكاح اليه كالفرخين فصح المعنى. ولولا قول أبي منصور  
ما نخالجنى ولا أحد ممن عنده أدنى مسكة من الادب، الا ويعلم ان ما تعلق  
بمعنى أبو الطيب فى الحمى، فوافق خاطره خاطر ابن هندو. وقد تعلق به  
أيضا ومثل هذا قول أبي تمام يصف الكاس:

أو درة بيضاء بكرًا طبقت حبلا على ياقوتة حمراء  
فقال ابن المعتز فى زامرة بيضاء فى فها ناي ابنوس:

كأنما تلثم طفلا لها زنت بها من ولد الزنج  
فجاء ذكر الزنا أقبح شئ مما نسمع. وقال الصابى أبو اسحق الكاتب  
يذكر غالية فى قدح بلور:

كأنها فيه وقد حازها رومية حبلى بزنجية  
فغيب أجودهم لفظا مع سبقه، وابن المعتز أردلهم لفظا. وخرج الصابى

رأساً برأس ،الآن يطالب بما طولب به ابن هندو والشعابي ،فانه جعل القدر  
وهو مذكر ،رومية حُبلى ،ولو كان كأساً أو آلة مؤنثة كالكاس لكان أجود  
ومن لطيف الأخذ قول السرى الموصلى :

فأدناها من الصب التثنائي كذلك الشمس يدينها الغروب  
أخذه أخذاً بديماً من قول أبي علي البصير .

تأنت قليلاً وهي ترعد خيفة كما تتأني حين تعتدل الشمس  
فان بينهما تماثلاً خفياً وذلك ان الشمس هاهنا ،لما كبدت السماء قام  
في النفس وتخيل للناظر انها متباطئة السير ، وان لم يكن كذلك في الحقيقة .  
والشمس هناك لما صارت في المغرب قربت من الناظر فيما يرى ، وهي في  
كبد السماء أبعد في نظر العين وأخفى من هذا الأخذ والطف قول عنتره :

يا شاة ما قنص ان حلت له

ثم قال : فكأنما تطو بجيد جدية

وأراد أن ينزهها عن عيب المها والغزال فقال .

اذ تستميك بذى غروب واضح عذب مذاقته لذيد المطعم  
فأخذه البحترى فقال :

عارضنا أصلاً فقلنا الربرب حتى أضاء الاقحوان الاشذب

وهذا من ظريف السرقات وخفيها ،الذي لا يؤبه له . والقول في بيت  
عنتره منسوب الى أبي العباس ثعلب ، رأيته بخط بعض أصحابه . فلما رأته  
علمت أن البحترى فطن له فطنة ثعلب ،أو وافق خاطره خاطر عنتره . ومن  
تلطيف المعاني ، قول أبي اسحق الصابي في صفة مدخنة .

تحرق فيها الندد بدءاً وعودة فتأخذه جسماً وتبعثه روحاً

لطف معنى قول أبي نواس في انبعاث الحجر .

فاستلمها من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمسك الجسد  
وأشار الى قول النظم

( مازلت آخذ روح الذن في لطف ) . ويقرب منه قول ابن المعتز  
لما وجاها بدت صفراء صافيةً كأنما قد ستر من أديم ذهب  
وقال ابن سكرة أو غيره :

ثم وجاها نشبا منزل فاستل منها وترا مذهبا  
وان كان ابن المعتز قد قال قبله :

ومدامة يكسو الزجاج شعاعها كالخيط من ذهب اذا ما استلأت  
والسرقة المغتفرة نظم المنثور، كقول امرأة من أهل البصرة لبشار  
أى رجل أنت لو كنت أسود الرأس والاحمية ؟ فقال بشار : أما علمت ان  
بيض البراة أثنى من سود الغرابان . قالت أما ذلك فحسن فى السمع فن  
لك بأن يحسن شيبتك فى العين كما حسن قولك فى السمع ؛ وكان بشار يقول  
ما أخطئ قط غير هذه المرأة أخذ البحرى قول بشار فقال :

فبياض البازى أحسن لونا ان تأملت من سواد الغراب  
وكما صنع بشار فى أبيات عن لسان حمار مات له وزعم انه انشده اياها  
فى النوم وان موته انما كان من عشق حمارة

ولها خد أسيل<sup>ه</sup> مثل خد الشيقران

فقال محمد بن حجاج ما الشيقران يا أبا معاذ؟ قال: هذا من غريب الحمار  
فاذا لقيته فأسأله عنه . أخذه المعرى وزاد فيه فحسبه فقال يذكر أبلأ  
تلوت زبوراً فى الحنين مَرَجَمًا عليهن فيه الصبر غير حلال

وأنشدت من شعر المطايا قصيدة فاودعتها في الشوق كل مقال  
أمن قبل عود رازم أو رواية أتتهن من عم لهن وخال  
فقد صار المزح جدا، وخرج عن بابها الاول، حتى جل قدره، وعظمت  
فأدته، وكان أوله هزلا، يقول انه أخذه من قول الاول:

فغناها وهي لك الفداء ان غناء الابل الحداء  
وقالت امرأة أخرى لبشار أنت القائل:

تحت ثيابي جسد ناحل لو هبت الريح به طارا  
قال نعم، قالت. وأنت بهذا السمن كانك تل؟ قال هذا ورم الحب  
يا بظراء، أخذه أبو الطيب فقال في سيف الدولة:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم  
وكان لابي الاسود جيران من قشير، وكانوا يؤذونه ويرهونه في الليل  
فاذا شكاهم قالوا اسنا نرحمك، وانما يرحمك الله تعالى، وكانوا عثمانية. وكان علويا  
فيقول كذبتهم يا فسقة، لو رحمني الله لما اخطأني. وأنتم تخطئون، فنظمه  
حبيب فقال:

رى بك الله برجيها فهدتها ولو رى بك غير الله لم يصب  
وسئل الاعشى عن معنى قوله في الخمر (كدم الذيح سابتها جريا لها)  
فقال: شربتها حمراء وبلتها بيضاء. فتناول ابن المعتز هذا المعنى وليته لم  
يفعل فقال:

ولا يزال وكاس الشرب دائرة يبول هما ويحسو اللهو والطرابا  
غير انه جاء هجين اللفظ، بارد الاستعارة، لاسيما وقد وقع الحسوة بعد  
البول فأين هذا من قوله

لم ترد ماء وجهها العين إلا شَرِقَتْ قبل ريبها برقيب  
سبحان من بنى الانسان على النقصان ولم يُعْطِ أحداً من خلقه الكمال  
وسئل أبو نواس عن أحب الشهور اليه فقال شوال . ف قيل له من أجل  
الفطر؟ قال لا ولكن لبمده من رمضان ، فأخذه الحمدوني فقال :

مَنْ شَوَّالٌ عَلَيْنَا وَحَقِيقٌ بِامْتِنَانِ  
جَاءَنَا بِالْقَصْفِ وَبِالسَّمْرِفِ وَلذَاتِ الْقِيَانِ  
أَوْفَقِ الْإِشْهَرِ لِي أَبْعَدُهَا مِنْ رَمَضَانَ

وكتب الحجاج الى فتية بن مسلم : اني قد نظرت في سني ، فاذا أنا ابن ثلاث  
وخمسين سنة وأنا وانت لِدَةُ عَامٍ وان امرأاً قد سار الى منهل خمسين سنة  
لقمّن أن برده والسلام . فنظمه أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمي فقال :  
إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخُلِّفْتَ في قرن فأنت غريبُ  
وان امرأاً قد سار خمسين حجّةً الى منهل من ورده لقريب  
ومما لا يُعَدُّ سَرِقَةً ان تتفق قصة تقتضى صفةً بعينها كالذي وقع لنا  
في رثاء السيدة الجليّة من ذكر حاق الشعور ولبس المسوح وفي رثاء  
ابن زمام الدولة من موافقة الكسوف . وقد بينت ذلك في رسالة  
كشفي المساوي . ولا بد ها هنا من نُبْدٍ أذكرها من اتفاق الشعارين  
المتعاصرين على بعد ما بينهما اذا اتفق موصوفهما أو تقاربا ، كقول أبي  
سميد الرستمي في دار بناها الصاحب بن عباد

مَتَى تَرَاهَا خَلَّتِ السَّمَاءُ سَرَادِقًا عَلَيْهَا وَأَعْلَامُ النُّجُومِ تَمَائِيلًا  
وَقَوْلُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ هَانِي فِي جَمْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بِالْمَغْرِبِ :

فكأنما ضرب السماء سرادقاً بالزباب أو رفع النجوم قبابا  
فهذا اتفاق لا محالة ، لانهما متعاصران وابن هاني أقدمهما على كل حال .  
وكنت أنا قد صنعت منذ سنين عدّة وقد خرجنا للاستسقاء فرجعنا ، وقد  
انتشر الجراد حتى كاد ان يحولَ بيننا وبين الشمس ، وشق ذلك على الذي  
خرج للاستسقاء ، وكان شيخا صالحا مات سنة سبع وعشرين بعد الفضة بمدة  
طويلة ، قد خرجنا بنية الغيث نستسقي ، وقد أوحشت وجوه البلاد  
بينما نرتجى سحابة مزن غشيتنا سحابة من جراد  
ليس من قلة ولا بئجل ربّ انما ذلك من ذنوب العباد

ولا أشك ان أصحاب التاريخ أثبتوا القصة والسنة التي كانت فيها .  
وأما أبو الحسن التهامي رحمه الله فكثيرا ما أوردّه ، حتى أنهم نفسي فيما  
أعلم ويعلم الناس اني سبقتة اليه ، علم ضرورة وبحضرة التاريخ . الا ان للمشرق  
فضيلةً ومزيةً ومثل هذا ماجرى لعلي التونسي الايادي ، فانه قال قصيدته :

جادتك صادقة الخبايل طوع الجنائب والشائيل  
مرهء دانية الرباب تكاد تلمس بالانامل

يخاطب بها القسم عبد الله وابنه اسماعيل ويحضه على الخروج من حصار  
المهدية الى قتال أبي يزيد وهي مشهورة بالمغرب .

وقال السري بن احمد الموصلى يمدح أبا الحسن أحمد بن ابراهيم بن فهد :  
جاءت مولعة السكواهل تحتال صادقة المخائل  
كحلاء حالية بكتّ حتى انثنت مرهء عاطل

وهذا وان لم يكن وفاقا وما أراه فهو استضعاف بحقه . وقد روت

الرواة من أهل الشام قصيدته (صَوَّجَ الامير من عذارين) لأبي الفرج الواو،  
فذهب بها بأسرها ولا يرويهامغربى الالعلى التونسي. والمتأخر بالأخذ من  
المتقدم أولى بالأخذ من المتأخر. الا ان اعليا التونسي وان كان قد أقدم، فقد  
عمرُ عمرا طويلا حتى عاصر هذين الرجلين، لأنه أدرك المعز وامتدحه بها.  
وكان قد تخلف عنه بالقيروان وخرج في البحر يُريدُهُ نَأْسَرَ ببلد الروم ثم  
تخلص اليه. ومما يحضره التاريخ من السرقات وتقييده الا زمنة، قول أبي  
العيناء في المتوكل :

قالوا امتدحت الامام قلت لهم      أخاف ان لا أحُدُّهُ بصفة  
وكيف يعطى على المدائح من      كان أبو السمط عنده طرفة  
كأن انشادنا مدائحهم      انصاف كتب ليست بمؤتلفة  
أخذه من حبيب لا محالة وكان أبو العيناء أسنَّ منه لانه قاله  
المتوكل . وقول حبيب :

عدلا شديها بالجنون كأنما      قرأت به الورهاء سطر كتاب  
في قصيدة يمدح بها مالك بن طوق في أيام المعتصم أو الواثق. فهذا لولا  
التوقيف لقصى ان حبيبا أخذه من أبي العيناء . ومن قببح الأخذ وفاضح  
السرقه قول ابن الرومي في رجز ، يصف فواره

بعين يقظى وجيد ناعسة      طال عليها الوقوف والسهير  
وهو في زمانه وبلده واشتهاره غير خاف . ومثله قول زهير بن حباب السكابي:  
فيادار سلمى هجت لالعين عبرة      فماء الهوى يرفض أو يترقرق  
أخذه ذو الرمة فقال : ( أدار نحوزي ) وأتى بالبيت على سياقه .  
وقال زهير بن أبي سلمى :

تراه اذا ماجئته مهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله  
وهذا بيت مشهور غير مجهول ولا مغمور، أخذه حمزة بن بيض فقال.  
تراه اذا ماجئت تطلب الندى كأنك تعطيه الذى أنت سائله  
وقد قال البحترى :

أموأب هاتيك أم أنواء هطل وأخذت ذاك أم اعطاء  
فأجاد واختصر اللفظ ورأيت من يروى الثلاثة الأبيات الأول من  
قصيدته (قف بالمنازل قبل أن تتفرقا) فى أغاني إبراهيم الموصلى درج حكاية  
مشهورة ولو لم يكن معمولة. ومن ضروب السرقات التلفيق، وهو أن يأخذ  
الشاعر المعانى المتقاربة ويستخرج منها معنى مؤكداً يكون له كالاختراع  
وينظر به جميعها فيكون وحده مقام جماعة من الشعراء، وهو مما يدل على  
حذق الشاعر وفطنته. ولم أر ذلك أكثر منه فى شعر أبي الطيب وأبي العلاء  
المعري، فانهما بلغا فيه كل غاية. ولطفاً كل لطف، وكان أبو الطيب أجمع  
الناس لكثير من المعانى فى قليل من اللفظ. وبذلك تقدم عند الفضلاء  
وضرب المثل الذى ساد به أبو الطيب الشعراء. ضرب من ذلك الايجاز  
الذى فيه. واذا تأملت قوله :

سقاك وحيانا بك الله إنما على العيش نوراً والحدود كجائه  
علمت بينة هذا بين الفضل غير متأتى المثل، وان كان مأخوذاً من  
قول ابن الرومى :

أمطر بذاك حياتى تكسه زهرا أنت المحيّا برتاه اذا نفعا  
وسأذكر شيئاً من شعر المعري يستدل به سامعُه على ان الكلام من  
الكلام وان خفيت طريقه وبعدت مناسبة فن ذلك قوله :

وقال الوليد النبيع ليس بمشمر واخطأ سرب الوحش من ثمر النبيع  
يعنى قول البحتري: ( كالنبيع غريان ماني هوده ثمر) وأراد بتخطئته أن  
الوحش يصاد بالقسي التي هي من النبيع، فكأنه ثمر لها . وإنما تناول قول  
أبي الطيب وعليه كان أكثر معوّله

محب كنى بالبييض عن مرهفاته وبالحسن في أجسامهن عن الصقل  
وبالسمر عن سمر القنا غير أنى جناها احبائى وأطرافها رسلى

الا ان أبا العلاء جعل الثمر وحشا وجعله أبو الطيب نساء . ومر بعض  
الحكماء بامرأة مصلوبة فقال : ليت الشجر ينمر مثل هذا . وهذا من  
اخفاء الاخذ والحذق وبالتناول من بعد . وكذلك قوله في صفة الابل :

فمدت الي مثل السماء رقابها وعبت قليلا بين نسر وفرقد  
وصفاتها وردت الماء ليلا وهو ازرق صاف وفيه صور الكواكب  
فشربت من مثال هذين السكوكيين في الماء . وإنما أخذه من قول الاخطل  
يذكر سميت ابل قصده :

إذا طلع العيوق والنجم أوجت سوالفها بين السما كين والقلب  
أراد اذا طلع العيوق والثريا يمت هذه الابل ما بين السما كين والقلب  
فكانها وضعت سوالفها مغرّبة بينهما . هذا قول أبي حنيفة الدينورى :  
ولابن قتيبة قول آخر هذا هو ذاك ، الا انه حاد به حيدة شيطان مثله .  
وسمع قول أبي وجزة السمدى :

عيون ترمى بالرصاص كأنها من الشوق صردان تدف وتلمع  
شبه العيون وهي تفيض الدمع تارة وتجده تارة بصردان ينتفض

تارة ويطير قريبا من الارض تارة ، فتناوله تناولا خفياً وأضاف اليه قول  
الصنوبري يصف شراك نعل سنديّه :

ومما يزينها في العيون كما زين الفرس المركبُ  
شراك كخطافة رنقت بهم بشرب ولا تشربُ  
وصرفه الى السهر فقال :

كأن جفنبه سقطا نافرٍ فزعٍ اذا أراد سقوطا ريع أو زيدا  
ظن الدجى قطة الاظفار كاسرة والصبح نسرا فما ينفك مزوذا  
وهذا هو بيت أبي وجزة بعينه اذا تأمله من له بصر. وقد شغله بجانسة  
أصلها قول الاول:

حتى اذا ما أضاء الصبح وانبعثت عنه نامة ذى سقطين معتكر  
يعنى الليل ونعامته شخصه على سبيل الاستعارة ههنا والسقطان  
الجناحان أراد جانبي الليل. وقال لي بعض أصحابنا كالمترض عليه هذا الطائر  
خاف العقاب لانها من الجوارح ، فما خوفه من النسر وهو بغاث قلت فان  
العقاب يخاف النسر ما كانت في الأرض ألا تسمع الى قول الحسن بن وهب  
يعرض بأبي الجهم احمد بن يوسف بن بنت محمد بن عبد الملك الزيات وقد  
عارضه في كلام:

اذا ما حامت العقبانُ ظهراً تشمرت الجوارح في الغياض  
فقال أبو الجهم :

ألم يخفق فؤادك يا ابن وهبٍ لذكرى دون رميك في عراضى  
وهل تثبت عقاب في مكان اذا نسر تحامل في انقضاض

وأنى أبو العلاء الى قول النابغة الذبياني في صفة الخيل وعرقها

ينضجن نضج المزاد الوفر أتاها مثل الرواقِ بماء غير مشروب  
يُريدُ ينضجن بماء غير مشروب وهو العرق نضج المزاد والى قول الفرزدق  
يصف قوسا

ووفراء ألم تخرز بسير وكيفية غدوتُ بها طيما ندى برشاها  
كأنه يصف مزادةً ودلوا والى قول منصور النمرى يصف إبلا  
رَكِينِ الدُّجى حتى نَزَحْنَ غَمَارَهُ ذميلا ولم تنزح لهن غروب  
فاستخرج من بينها قوله فى صفة الأبل  
قد أعييت كأنهنَّ غروب ملوها تعب فهنَّ يمتحنن بالارسان تقويدا  
وهذا من سحر بلاغته واطيف صنعته ، ولا سيما قوله ملوها تعب  
وقوله يمتحنن بالارسان . وسمع قول شمعة ابن أخضر الضبى فى ذكر الخيل  
وايثارها طلب عائدتها

نوليها الصريح اذا شتونا على علاتنا ونلى السمارا  
رجاء أن تؤدّيه الينا من الاعداء غصبا واقتسارا  
يقول نؤثرها بالصريح من اللبن فذهب بها ابل الاعداء فنملكها  
ونحلها فكانها أدت الينا ماسقيناه وقول النابغة يذكر جيشا غزا به  
مطرت به حتى تصون جياده ويرفضُ من اعطافها كل مرفد  
يعنى حتى يخرج اللبن الذى غذى به كما تقول والله لا اخرجن من جلدك ما أكلت  
وما شربت تريد لا تعبناك بمقدار ذلك . وقول المعذل وهو مكحول بن عميد الله  
بن عمرو السعدى

كان بضمفى جوزة وبنجره جفاء رغا حوراء اذ هو أزيدا  
فولد منه قوله فى صفة الفرس

كأن عيوقة من فرط ريّ أباه جسمه فندا شمما  
كأن الركب أدى المحض منه فجع لبانه لبنا صريحا  
وجاء في نهاية الجودة والتمكن من هذه القصيدة قوله في صفة  
البرق .

إذا ما اهتاج أحمر مستطيراً حسبت الليل زنجياً جريحا  
جمع فيه بين قول عدى بن يزيد العبادي يصف سنجابا  
كان ما تما باتت عليه خضاً بن ما ليا بدم<sup>(١)</sup> صيب  
كأنه يريد صوت الرعد ولمع البرق وقول السري الموصل  
يسيل عن الزق الروى كأنه جراحة مجروح يسيل نجيعها  
فبيت السري أقرب إليه ، إلا أن الخفي مافي بيت عدى من ذكر الماكي  
لأنها آلة الإشارة تناسب قول المعري أحمر مستطيراً . وأخذ قوله في الخيل  
يصف سرعتها ولما لم يسابقهن شيء من الحيوان سابقن الظلالا من قول  
ابن الرومي :

جواد في غرب الجياد بغيره ومر يجارى ظله وهو واحد  
وتناول قوله في الفرس :  
فكل ذؤابة في رأس خود  
ومن قول أبي الطيب :  
فقل الجبال من الغدائر فوقه  
موازننا لقوله :

---

(١) الماكي جمع مثلاة وهي خرقة تمسكها المرأة عند النوح

وكل شواء غطريف تمني لسيرك ان مفرقها السبيلُ  
ممزوجا بقول بعض نبي الحارث بن كعب من أبيات أنشدها له أبو زياد  
الكلابي في قلوب أخذها قوم وحلفوا عليها  
سأخذها غصبا وشيب لحام لها عقلٌ مفتوأةٌ وقزال  
فأنت ترى شاعر المصر بلا مدافعة كيف توکا على من كان لا يظنُّ  
أحد إلا انه اخترعه وسبق الناس اليه . واذا كان أبو عبادة في قوله الذي  
طار به في الخافقين حيث وصف الخصور والارداف فقال :

رددن ما خفتت منه الخصور الى ما في المآزر فاستقلن اردافا  
انما نقله نقلا من قول أبي النجم في صفة الاسد:

ناط على الكتفين منه خصرها وابتزت منه الصدر بطنا أهيفا  
وقول أبي الطيب الذي سحر به الالباب حين قال في صفة الجيش والغبار:  
حمت كل أرض تربة في غباره فهن عليه كالطرائق في البرد  
وانما هو من قول ذي الرمة يصف الحمر الوحشية:

فراحت لادلاج عليها ملائة صهايبة من كل أرض تعيرها  
أخذه ذو الرمة من قول أبي دواد الايادي يصف عيرا وأنانا:  
قترى خلفها اذ برزا من غبار ساطع قوس قزح  
وقوله المستطرف

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدقٍ نطاقا  
انما هو من قول بشار:

ومكالات بالعسيو ن طرقتني ورجعن ملسا  
ومن قبل هذين الشاعرين من الجملة لا يسكاد تسلم له فضيلة فيما أورد

وقد سطر المؤلفون انه لم يعثر على بشار انه سرق شعرا قط، جاهليا ولا اسلاميا. وهذا اسحق الموصلي على تقدمه في ميز الشعر وفضله وصنمته لا يراه شيئا ويزعم انه مختلف الشعر ويذكر عن أبي عبيدة انه أنشد شبيل ابن عروة الضبعي قول بشار:

إذا كنت في كل الامور معاتبا      صديقك لم تاق الذي لاتماتبه  
فعمش واحداً أو صل أخاك فانه      مقارف ذنب مرةً ومجانبه  
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى      ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

فذكر انها للمتلمس وكيف خفي عن بشار ان ادعاها هذا، مما لا يمكن لشهرة المتلمس وحرص الرواة على مثل شعره. وزعم قوم آخرون ان قوله المشهور:

إذا ما غضبنا غضبةً مضرّةً      هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما  
لعجيف العقيلي. وقال الرشيد لاسحق الموصلي في تفضيل أبي العتاهية لقوله  
فتنفست ثم قلت نعم      حبا جرى في العروق عرقا فمرقا  
ويحك أتعرف مثل هذا لاحد غيره؟ أتعرف من تنفس غيره قبله؟  
وهذه القطعة بعينها منقولة من شعر قيس بن ذريح اذ يقول:

بتُّ والهم يا بيني ضجيجي      وجرت مذ نأيت عنى دموعي  
وتنفست اذ ذكرتك حتى      زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي  
فأما قول بكر بن النطاح:

ماتهبُ الشمال الا تنفس      مات وقال الفؤاد للعين جودي  
فيجوز ان يكون قاله بعد أبي العتاهية، لانهما متعاصران وزعم قوم

ان عينية منصور النمرى التى هى مُذهبتة سرقتها من رجل نمرى يقال له منصور بن بحره. ذكر ذلك الاصفهاني، وان ابا نواس سلخ معاني الوليد بن يزيد الخيرية وأدخلها فى شعره وكررها. على أن هذا أخف مما تقدم. وزعم اسحق انه كان يسليخ معاني الهندي وطبقته فأين تقع نقطتى من دائرة هؤلاء الجلة وقطرتى من بحارهم! ولولا انها مجازاة أدبٍ وتجد يد مودّة، لاقتصرتُ من جميع ما أوردت على معرفتك وسعة روايتك، غير رافع رأسا بمن أنطقه الحسد وأسكته الكمد. وقد قلت انبساطا واستيناسا كما توجب الثقة وتقتضى خلوص النية واسترسال الطباع بين الاخوان:

دونكها ياسيد الاحرار	وواحد العصر بل الاعصار
رسالة بينة الاعذار	باحث بما تخفى من الاسرار
أدل من فجر على نهار	وفضل ذلك السر فى الاظهار
لطيفة المسلك فى اختصار	خفيفة الروح على الافكار
كأنها من جودة العيار	(قُرَاضَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) الدينار
اليك جاءت لا الى المارى	هل يعرف القبر سوى التجار

﴿ نسخة ما وجد في خاتمة الاصل ﴾

نجز كتاب قراضة الذهب في نقد أعمار العرب  
صنفه الشيخ الاديب أبي الحسن بن رشيق الازدي  
تعمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأسكنه غرف جنانه

وكتبه المصطفى بن احمد محب الدين الشافعي  
أتخفه مولاه تعالى ذكره عنده بمدنه  
وحياه بانتهاج سنن سنته بمنه وكرمه  
في الختام من شعبان المكرم  
من شهر سنة ثلاث عشرة والف  
من الهجرة الشريفة على صاحبها  
أفضل الصلاة والسلام











